كنوزنا الأثرية الغارقة في الرمال

د. زينب حزام

على الرغم من أنه كان لوزارة الثقافة دورها المشهود في بناء المتاحف منذ الستينيات حيث نمتلك نحن في عدن العاصمة الاقتصادية والتجارية أكبر متاحف الجمهورية، إلا أن الزائر لهذه المتاحف لا يرى الزوار، ولا نجد بطاقات التهنئة للسياح التي تحمل صور القطع الأثرية الموجودة في المتاحف، بل حتى البرامج التلفزيونية اليمنية لا تعطى صورا واضحة أو برامج استطلاعية عن المتاحف والمواقع الأثرية في اليمن، ولأكثر من مرة زرت متحف عدن، وفي إحدى المرات لم أشاهد الزوار حتى أنني تألمت عندما تذكرت متحف الارميتاج في مدينة (لينينجراد سابقا) وهو تقريباً أكبر بقليل من متحف عدن ، إلا أنه اكتظ بمئات الزوار في طوابير لمشاهدة القطع الأثرية الموجودة في المتحف.

حقا هناك تقصير كبير من قبل وزارة الثقافة والسياحة والإعلام في عملية الترويج والدعاية الإعلامية عن المتاحف اليمنية، إننا نمتلك قطع نادرة في متحف عدن ومتحف صنعاء وشبوة والجوف وحضرموت ومأرب الغنية بالمواقع الأثرية والدينية ولكن الإهمال الإعلامي أثر على هذه المواقع مما جعلها مهملة لا تجد من يستفيد من تاريخها وحضارتها.

وإذا تحدثنا عن التماثيل البرونزية النادرة الموجودة في متاحفنا لوجدنا أنها ذات قيمة تاريخية وفنية في الوقت نفسه ، وعلى سبيل المثال هناك في متحف صنعاء تمثال برونزي للملك سمعهلي ينوف، هذا التمثال أهتم به الفنان، وأعطى اهتماما كبيرا للوجه ففيه شموخ وكبرياء ونظرة تأملية للمستقبل، ولم يهتم كثيرا بجسد التمثال وجعله عاديا في الشكل.

إن الفن اليمني القديم أعطى الفنان الحق في إبراز شخصية التمثال من خلال الوجه ليعبر عن أسطورة هذا الملك وحبه للوطن وسعيه لتخليص العالم من الوحوش الكاسرة والحيوانات المفترسة ونصرة المظلومين.

إن الفنان اليمني القديم اهتم بالنحت والزخرفة للتماثيل وهي تدل على تطور الفن اليمني بصفة عامة.

لذا نأمل القيام بمحاولة جادة لدراسة الفن اليمني القديم، حيث نجد قلة من الباحثين في هذا الجانب مع إننا نمتلك معهدا خاصا بالفنون التشكيلية، ونملك كليات خاصة بالتاريخ والآثار، أملنا أن تلفت أنظار الباحثين لدراسة النحت اليمني ودراسة الفن اليمني القديم والحديث في الحصول على المعلومات المهمة في هذا الجانب من خلال النزول الميداني للمتاحف والمواقع الأثرية.

لأننا نمتلك في متاحفنا المحلية قطع أثرية لها أهميتها الفنية والتاريخية، والزخرفة والفن التشكيلي والمهتمين بالآثار والفنانين التشكيليين، وكل متذوق للجمال النحت اليمني من الألف إلى الياء، هذه القطع الجديدة وبعد تنظيفها وترميمها، ندعو إلى مشاركتها في معارض سنوية أو نصف سنوية محلية ودولية على أن تتكون هذه المعارض من التماثيل واللوحات الفنية والعملات الذهبية والموميات حتى يتعرف المواطن اليمني أولا على تاريخه ويهتم بزيارة المتاحف والمواقع الأثرية، وكذلك نجذب السياح الأجانب إلى متاحفنا والتعرف على تاريخ حضارتنا القديمة والحديثة.

قصة قصيرة

سمبره مجرم

إنطلق صوته " المنبه" فيه ما فيه .. أبوا أبو السمبرة جرم يجيبه .. فيه ما فيه.. كيتي كولا يجيبه .. كان أبو يتخذ موقعاً على حافة اللسان الممتد من شارع المنارة في مدينة كريتر وبالتحديد بجانب مبنى البريد الرئيسي كانت السمبرة في تلك الايام أكلة زهيدة محتقرة يسد بها الفقراء جوعهم ولم يكن مثل أيامنا هذه فالسمبرة تعرض وتباع للزبائن على انغام الديسكو بإيقاعاتها السريعة مع رياح التغيير صار أبو نجما وذلك من خلال عبارته المشهورة وصار أشهر داعية للسمبرة جرم .

لم تكن السعادة يوماً هدفاً من أهداف حياته إنه مثل "اينشتين ليس سعيداً ولا يريد أن يكون سعيداً تضايق أبو كثيراً من هذا اللقب " أبو السمبرة جرم" ولكنه لا يستطيع أن يبدي احتجاجاً حتى صار يمتنع من ترديد عبارته الداعية المشهورة " فيبة ما فيبه" كيتي كولا يجيبه" بل وصل به الامر في أن يفضل الانزواء في بيته ولا يخرج إلا لحاجة ضرورته ولكنه يجد نفسه أمام الامر الواقع.. إنها لقمة العيش ومصدر الرزق .. فمن أين ..؟! أخيراً وصل الى قرار نهائي ولا رجعة فيه بعد أن ضاق ذرعاً بهذا اللقب ولن ينفعه اختبائه وعزلته فقصد مدير البلدية حيث كانت البلدية حينها على مقربة من موقع عربته ذات العجلتين المصحوبة والمشحونة بأواني السمبرة والبطاطس وتوابعها كان مديرها قوياً ومدعوماً " كلمته كلمة وبس " .

فقال أبو : ياحضرة المدير فسارع المدير مقاطعا : هاه إيش في معك يا أبو السمبرة الجرم فانقبض أبو وقال : في الحقيقة أنا جئت إليك ياحضرة المدير شاكياً راجياً مساعدتك .. هذا اللقب أبو السمبرة جرم الذي تلته يضايقني كثيراً وأرجوك ثم أرجوك أن تعمل لي حل في أن تأمر في أن تكف الناس عن مناداتي به .. تصور ياحضرة المدير أن زوجتي نفسها صارت تناديني بأبو السمبرة جرم ورق قلب مدير البلدية لهذا المسكين فنشر قراراً بلدياً رسمياً ممهوراً بختمه وتوقيعه .. أن من يناديه بأبو السمبرة جرم " سوف يدفع مبلغ خمسون شلنا غرامة وسر أبو كثيراً وانبسطت أساريره عندما راح يتجول بعربته في شوارع مدينة كريتر مبتدئاً من السوق الطويل ثم ميدان الزعفران مثل " العونطي" دون أن يجرؤ أحداً على ذكر " أبو السمبرة جرم" وعجب علي تلك القدرة العجيبة التي ربطت الألسنة وكمت الأفواه .

ولكنه .. أي ابو.. كان يرى في العيون ما لا يطمئن القلب ولا يرضى العين فيغض الطرف .. وبعد مدة استدعى مدير البلدية " أبو" وسأله إن كان أحدا قد ترجأ على ذكر " أبو السمبرة جرم" على مسامعه.

محمد حسين بيحاني

فقال أبو : ياحضرة المدير .. لقد امتنعوا عن مناداتي بأبو المسبرة جرم لقد انتقل الى لقاء ربه منذ زمن طويل ولكن الذين عانى منهم ومن نظراتهم ما زالوا يفرخون ويتوالدون ويتوارثون الألسنة والنظرات والافكار والخبث من جيل الى جيل .

عدن في نوفمبر ١٩٩١م

الهامش :

السمبرة : حب العتر . وهي كلمة هندية

جرم : ساخن . وهي كلمة هندية

العونطي : حركة استعراض " الفتوة"

فيبه : أي فيه . في داخله

يجيبه : يأتي به

الجاري : كلمة هندية وتعني عربة العتر

بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لرحيل الشاعر عبدالله الدويلة

إبحار عبدالله الدويلة في فن التشكيل

عبد العزيز الدويلة

لا يمكن أن نتناسى أو نتغافل الذكرى السنوية لوفاة والدنا الصحفي وشاعرنا الجليل المرحوم/ عبدالله علي مولى الدويلة فعلى الرغم مشاغلنا ومتطلبات حياتنا اليومية ومتابعة أعمالنا تظل الذكرى ناقوساً وهاجساً وتفكيراً يراودنا كلما اقتربت ذكرى رحيله التي تحاور أعماقنا الباحثة عن استكشاف كل ما هو جديد في عالم وآفاق الأعمال والتراث الإبداعي المتنوع والغزير العطاء للشاعر والصحفي والناقد التشكيلي الفقيد/ عبدالله الدويلة رحمه الله.

وانطلاقاً من ما أشرنا إليه آنفاً سنحاول هذه المرة وفي الذكرى الرابعة عشر لرحيل والدنا الشاعر والصحفي عبدالله الدويلة تسليط الضوء بصورة موجزة على ما تناوله في دراسته (التشكيل في اليمن وأبرز رموزه) حيث تناول بشكل مركز البدايات التاريخية للحركة التشكيلية اليمنية المعاصرة بالإضافة إلى تشخيص لوحات واستعراض بدايات تجارب العديد من الفنانين التشكيليين اليمنيين في الشطر الشمالي سابقا وكذا أبرز الفنانين التشكيليين في الشطر الجنوبي من الوطن.

وفي هذه التناولة سجل الفقيد/ عبدالله الدويلة ميلاد الفن التشكيلي في اليمن وبالأخص في بداية الخمسينيات بظهور بعض المواهب في مسرح التشكيل اليمني بعدن أمثال أبوبكر وعبدالله العقيلي وفؤاد با وزير، وشيخ الكاف، واحتراف الثلاثة مهنة التشكيل، وبرزوا بإبداعاتهم التشكيلية، فسخروا فنهم في تصوير المناظر الطبيعية لبيعها للضباط والجنود البريطانيين والسواح والأسر الأجنبية والموسرين من العرب وغيرهم، بأسعار مغرية، وقد كسبوا من جراءها كسبا ماديا مجزيا.. فانجرفوا غارقين في تياره لا يلوون على شيء سوى إرضاء عطش السوق التجاري والسياحي، وانغمسوا في مدار البورترية والمناظر الطبيعية، وصور دعايات الشركات.

أما الشيخ الكاف فربما لم يكن منغمساً مثلهم، وذلك لا لشيء إلا لتفضيله أن يكون هاوياً، وربما لعدم تمكنه أيضا من مجاراتهم فنيا.

وقد رأى الناقد التشكيلي الفقيد/ عبدالله الدويلة أن الأعمال الفنية لهؤلاء أخذت النمط التجاري الذي كان يلبي الاحتياجات السوقية لجنود الاحتلال البريطاني التي كانت تمثل القوة الشرائية، وكان هؤلاء الغربيون معجبين بلوحاتهم ومناظر الشرق الساحرة والمواقع الحضارية والطبيعية العربية.

لقد شهد الفقيد عبدالله الدويلة البدايات الحقيقية للرعيل الأول للحركة التشكيلية أمثال الشاعر لطفي أمان الذي بدأ هاويا ويبدع بالقلم الرصاص وقد شاهد له الفقيد الشاعر عبدالله الدويلة خمسة لوحات بالألوان المائية وقد تساءل عن مصدر هذه اللوحات لكنه أكد في كل الأحوال أن تلك كانت بدايات المسيرة الأولى لحركة الفن التشكيلي في بلادنا.

وبرحيل الجاليات الأجنبية القادرة على اقتناء اللوحات اليمنية بما فيه القاعدة البريطانية بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الحركة التشكيلية، وقد أرخ الناقد التشكيلي الفقيد عبدالله الدويلة بأن عام ١٩٧٢م والذي انعقد فيه أول مؤتمر تأسيسي للفن التشكيلي وكان هو إحدى المؤسسين الأوائل له بالإضافة إلى عبدالله العقيلي وعلي غداف وخالد الصوري ولطفي جعفر أمان حيث أقيمت في هذه الفترة أول معرض ساد فيه الأسلوب التعبيري أو التأثيري،..

ويستطرد الفقيد الشاعر والصحفي عبدالله الدويلة في عرض تحليلي ونقدي المراحل التي مر بها أبرز رموز الفن التشكيلي في تلك المرحلة.

ولم يستثنى الشاعر عبدالله الدويلة في دراسته هذه حركة الفن التشكيلي في الشطر الشمالي من الوطن وأبرز رموزها على الرغم من أن هذه الدراسة كتبت قبل ثلاثة سنوات من تحقيق الوحدة اليمنية متناولا بالعرض والتحليل البدايات الأولى لهؤلاء الرموز سواء من حيث انتماءاتهم المدرسية أو من حيث مهاراتهم الفنية إلى مرحلة النضج الفني وكذا إرهاصاتهم فمنهم من استمر إلى يومنا هذا أمثال هاشم علي، فؤاد الفتيح، آمنة النصيري، طلال النجار، حكيم العاقل.

وفي بعض الأحيان يسهب الفقيد الشاعر عبدالله الدويلة في هذا العرض التاريخي مستعرضا أعمال هؤلاء لوحة لوحة بقدر ما توفر له من فرصة لمشاهدة تلك اللوحات.

ويعرب الشاعر عن أسفه للمشوار القصير لبعض الفنانين التشكيليين التي أظهرت مواهبهم قدرات إبداعية في مجال الفن التشكيلي في فترة قصيرة ولن يتسنى لهم الفرصة في الاستمرار.

ويقع اللوم الكبير في رأي الشاعر الدويلة في ذلك على الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي لم تمنحهم فرصة التفرغ الكامل للإبداع.

بهذه الدراسة وغيرها من المقالات واللقاءات المنشورة كان الفقيد الشاعر الصحفي والناقد التشكيلي عبدالله الدويلة ينوي تجميعها في كتاب خاص بالفن التشكيلي في اليمن وقد قمنا بتجميع كل هذه الأعمال التراثية الإبداعية للوالد الشاعر الفقيد عبدالله الدويلة المتعلقة بالفن التشكيلي ويحتاج الأمر إلى إخراجها في كتاب شامل خصوصا أن هناك قلة أو ندرة في إصدار مثل هذه النوعية من الكتب، عموما نأمل أن نكون قد وفقنا في هذه الذكرى في تناول جانب جديد لإبداعات شاعرنا الفذ والصحفي/ عبدالله الدويلة رحمه الله.

يهناك يا مايو

كلمات/ علي محمد جعفر عيدروس

يا وحدة الشعب دومي
دومي لأهلي وقومي
في الوحدة زالت همومي
وعدت في القوم فعال
توحد الشعب كله
من كل مذهب وملة
بعد الشتات والمذلة
وبعد طول التبهدال
مهما تعب أو تنكد
لا بد ما يصلح الحال
وشعبنا في بلاده
ماضٍ يحقق مراده
بوحدته واجتهاده
لا بالصراع والتمقتال
محال مثله يهادن
من كان فاسد وخائن
ولا بنظام الرهائن
يقبل وحضر التجوال
لا لن تعود الإمامة
ولو تقوم القيامة
ابن اليمن له كرامة
فقير أو يملك المال
ما عاش من باع نفسه
رخيص في غير جنة
باعها رخيصة وبخسة
وفارق النعم والخال
يا شعبنا يا يماني
يهناك سيل التهاني
من كل قاصي ودان
ايهنوك وفي مايو طوال
بالأمس وأنت تعاني
واليوم في شكل ثاني
تبني تعلى المباني
وتضلت الأرض في الحال
والمنجزات الكثيرة
منها الصغير والكبيرة
والكهرباء المنيرة
حقيقة ما هي تقوال
يا بو أحمد طال عمرك
قد زاد في القوم قدرك

إعلان

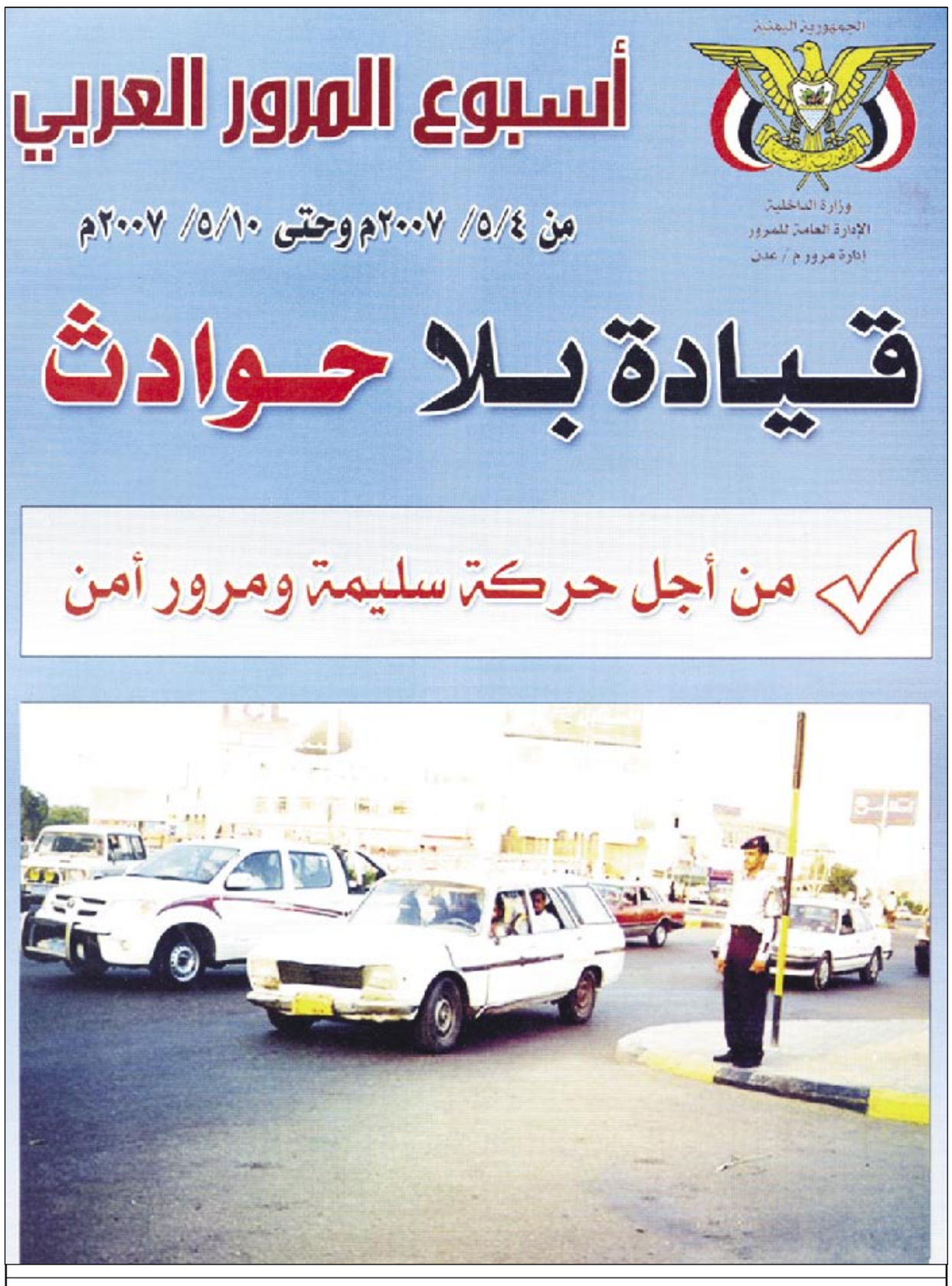

مع تحيات مؤسسة (14 أكتوبر) للصحافة والطباعة والنشر